

قصة الأنبياء

عليه السلام

نوح



المؤلف

الشيخ

عبد القادر أبو طالب

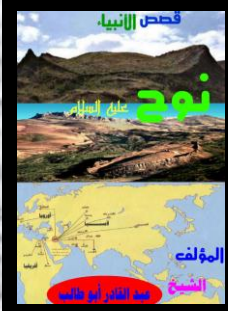


قصة

نوح

عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قصة

نوح

عليه السلام

مقدمة

الحمد لله القائل

{ فَأَقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) } الأعراف

الحمد لله الذي رغبتنا في أن نقص القصص للاعتبار والاتعاظ والتفكير فيها والاستفادة منها وخاصة إذا كانت لنا أحوال مشابهة فنقتاد

بأصحاب هذه القصص

والصلاة والسلام على رسول الله الذي أوضح لنا القصص التي قصها

الله علينا في القرآن

وسوف نشرع بمشيئة الله في قصص الأنبياء والمرسلين من نوح عليه

السلام الذي نبدأ بقصته من هذه الخطبة

ومضمون ما جرى له مع قومه مأخوذة من الكتاب والسنة والآثار

نوح

عليه السلام

قصة نوح عليه السلام

هو نوح بن لامك بن مَئُوشَلَخ بن خنوخ . وهو إدريس . بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام كان مولد نوح بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام. (١)

والقرن مائة سنة فيكون بينهما ألف سنة كانوا فيها على الإسلام (٢)

ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأوثان (الأصنام)

وكان سبب ذلك أنه كان قوماً صالحين بين آدم ونوح وأسمائهم ود ويعوث ويعوق وسواع ونسر، أولاد آدم، وكان ود أكبرهم وأبرهم به

^١ البخاري عن ابن عباس

^٢ وإن كان المراد بالقرن الجيل من الناس كما في قوله تعالى: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ } (الإسراء: 17) وقوله: { ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } (31) { (المؤمنون: 31) وقال تعالى: { وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا } (الفرقان: 38) وقال: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ } (مريم: 74، 98) وكقوله عليه السلام: «خير القرون قرني». الحديث، فقد كان الجيل قبل نوح يعمرن الدهور الطويلة، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين، والله أعلم.



نوح

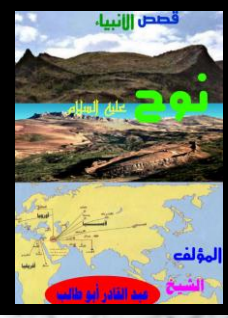
عليه السلام

وكانوا رجال صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، ففعلوا وصوروهم. فلم تعبد، فلما ماتوا وجاء آخرون وانتسخ العلم دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر. فعبدوهم (3) وكانت الأبناء تبر الآباء، فبموت الرجل منهم يجزع عليه ابنه ولا يصبر عنه؛ فيخذ تمثالا على صورته فكلما اشتاق إليه نظر إليه ثم مات ففعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فمات الآباء، فقال الأبناء، ما أتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم، فعبدوها وكان أول ما عبد غير الله الصنم الذي سموه وداً.

³ وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد

نوح

عليه السلام

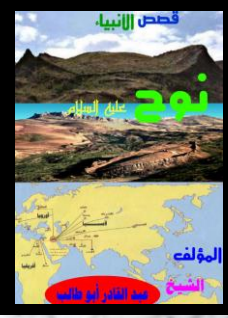


ووداً كان رجلاً صالحاً، وكان محبباً في قومه، فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال: إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه به؟ قالوا: نعم. فصور لهم مثله، قال: فوضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالاً مثله ليكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم. قال: فمثل لكل أهل بيت تمثالاً مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به. قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به. قال: وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، في أول أرض عبد فيها غير الله تعالى.

وكل صنم من هذه عبده طائفة من الناس. ولما تناولت العهود والأزمان، جعلوا تلك الصور تماثيل مجسدة ليكون أثبت لهم، ثم عبت بعد ذلك من دون الله عز وجل. ولهم في عبادتها مسالك كثيرة جداً

نوح

عليه السلام



ولما انتشر الفساد في الأرض، وعم البلاد بعبادة الأصنام فيها، بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام وكان سنه يوم بعث ، ثلاثمائة وخمسين سنة (4) ، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه.

فنوح عليه السلام أول رسول بعث إلى أهل الأرض، بعثه الله تعالى لما عبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر ، فبعثه الله رحمة للعباد وكان قومه يقال لهم بنو راسب (5) ولما بعث الله نوحاً عليه السلام، دعاهم إلى إفراد عبادة الله وحده لا شريك له، وألا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً وأن يعترفوا بوحدانيته، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه

^٤ وقيل غير ذلك

^٥ قد ذكر الله قصته وما كان من قومه، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة، في غير ما موضع من كتابه العزيز؛ ففي الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصفات واقتربت، وأنزل فيه سورة كاملة.

نوح

عليه السلام



قال نوح لقومه: { اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (الأعراف: 59) وقال: { لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26) } (هود: 26) وقال: { يَقُومُ اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ } (المؤمنون: 23) وقال: { يَقُومُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) أَنْ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا } (3) { (نوح)

فدعاهم إلى الله بأنواع الدعوة في الليل والنهار، والسر والإجهار، بالترغيب تارة والترهيب أخرى، وكل هذا لم ينجح فيهم، بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الأوثان. ونصبوا له العداوة في كل وقت وأوان، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به، وتوعدهم بالرجم والإخراج، ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم.

{ قَالَ أَلَمَلَا مِنْ قَوْمِهِ } أي السادة الكبراء منهم: { إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (الأعراف).

{ قَالَ يَقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الأعراف: 61) أي لست كما تزعمون من أنني ضال، بل على الهدى المستقيم



نوح

عليه السلام

رسول من رب العالمين الذي يقول للشيء كن فيكون {أَبْلَغُكُمْ
رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (62) {
(الأعراف).

وكان بليغاً، فصيحاً ناصحاً، أعلم الناس بالله عز وجل.
فقالوا له {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى
لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} (هود: 27).
تعجبوا أن يكون بشراً رسولاً، وتنقصوا من اتبعه ، ورأوهم أراذلهم.
وقد قيل: إنهم كانوا من أفئاد الناس، وهم ضعفاؤهم، وهم أتباع
الرسول، وما ذلك إلا لأنه لا مانع لهم من اتباع الحق.
وقولهم: {بَادِي الرَّأْيِ} أي بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير
نظر ولا روية وهذا الذي رموهم به هو عين ما يمدحون بسببه رضي
الله عنهم، فإن الحق الظاهر لا يحتاج إلى روية ولا فكر ولا نظر، بل
يجب إتباعه والانقياد له متى ظهر.

نوح

عليه السلام



وقال كفرة قوم نوح له ولمن آمن به: { وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ }
 أي لم يظهر لكم أمر بعد اتصافكم بالإيمان ولا مزية علينا وقالوا {
 بَلْ نَطْنُكُمْ كَذِبِينَ (27) } (هود).

فقال لهم نوح وهو يتلطف في الخطاب معهم، ويتفرق بهم في الدعوة
 إلى الحق (٦)

يقول لهم: { أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتَانِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ }
 أي النبوة والرسالة، { فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمُ } أي فلم تفهموها ولم تهتدوا
 إليها، { أَنزَلْنَاهَا } أي أنغصبكم بها ونجبركم عليها، { وَأَنْتُمْ لَهَا
 كَرِهُونَ }؟ (هود: 28) أي ليس فيكم حيلة والحالة هذه. { وَيَقُولُونَ لَا
 سَأَلْنَاهُمْ عَلَيْهِ مَا لَانِ اجْرِي إِلَّا عَلَىٰ آلِهَةٍ } (هود: 29) أي لست أريد
 منكم أجر على إبلاغي إياكم ما ينفعكم في دنياكم وأخراكم، إن
 أطلب ذلك إلا من الله الذي ثوابه خير لي، وأبقى مما تعطوني أنتم.

^٦ كما قال تعالى: { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ } (44) { (طه: 44) وقال تعالى: { ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بَأْتِيَ هِيَ أَحْسَنُ } (النحل: 125) وهذا منه.

نوح

عليه السلام



{ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ } بل أنا عبد رسول، لا أعلم من علم الله إلا ما أعلمني به، ولا أقدر إلا على ما أقدرني عليه، ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله. { وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ } يعني من أتباعه { لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمَنْ الظَّالِمِينَ } (هود) أي لا أشهد عليهم بأنهم لا خير لهم عند الله يوم القيامة، الله أعلم بهم، وسيجازيهم على ما في نفوسهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر،

وكان الملاء قد طلبوا من نوح أن يبعد عنه الضعفاء الذين آمنوا به ، ووعدوه أن يجتمعوا به إذا هو فعل ذلك فأبى عليهم ذلك وقال: { وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَأُفُو رَبِّهِمْ } فقالوا { أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ } (111) قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (115) { (الشعراء)



نوح

عليه السلام

وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى: {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا} (العنكبوت: 14) ومع هذه المدة الطويلة التي دعهم فيها فما آمن إلا القليل منهم.

وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به، ومحاربتة ومخالفته. وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه، وصاه فيما بينه وبينه: ألا يؤمن بنوح أبداً ودائماً , ما عاش وما بقي.

وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق، {وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجْرًا كَفَّارًا} (نوح).

وقد كانوا يبطشون بنوح فيخنقونه حتى يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، حتى إذا تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله حتى إن كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنوناً ولا يقبلون منه شيئاً، فشكا إلى الله تعالى فقال: {رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ

نوح

عليه السلام



وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ
 جَهْرًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) فَقُلْتُ
 اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مُمْدِرًا
 (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا
 (12) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14) {

فكانوا يضربونه حتى يسقط فيلقونه ويلقونه في بيته يظنون أنه قد مات
 فيخرج عليهم في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله عز وجل.

وأتى إلى نوح شيخاً منهم يتوكأ على عصي ومعه ابنه فقال: يا بني لا
 يغرنك هذا الشيخ المجنون، فقال له: يا أبت أمكني من العصي فأخذ
 العصي من أبيه فضرب نوحاً حتى شجّه شجرة منكرة ، فلما طال ذلك
 عليه ورأى الأولاد شراً من الآباء قال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك ،
 فإن تك لك فيهم حاجة فاهدهم ، وإن يك غير ذلك فتحكم فيهم .

وقال القوم لنوح { قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ
 مِنَ الصّٰدِقِينَ (32) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
 (33) { (هود) أي إنما يقدر على ذلك الله عز وجل، فإنه الذي لا



نوح

عليه السلام

يعجزه شيء ولا يكثرته أمر، بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون.
{وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34)} (هود) أي من يرد الله فنته، فلن يملك أحد هدايته، هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو الفعال لما يريد، وهو العزيز الحكيم، العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

فأوحى الله عز وجل إليه: {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ}، {فَلَا تَبْتَئِسْ}، فلا تحزن، {بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}، فإني مهلكهم ومنقذك منهم، تسلية له عما كان منهم إليه

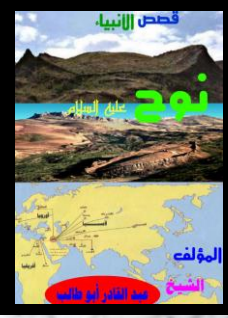
وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، أي لا يسوأنك ما جرى فإن النصر قريب والنبأ عجيب.

وذلك أن نوحاً عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم، وعلم من الله أنه لم يؤمن منهم أحد، ورأى أنهم لا خير فيهم، وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق، من فعال ومقال، دعا عليهم دعوة

غضب

نوح

عليه السلام



{ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كُبْرًا (22) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24) }

{ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (117) فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) { (الشعراء) } قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (26) { (المؤمنون: 26، 39). فلبى الله دعوته وأجاب طلبته قال الله تعالى: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) } (الصفوات).

{ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْتَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27) } (نوح).

فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم.

فعند ذلك أمره الله أن يصنع الفلك، وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها.



نوح

عليه السلام

وأخبره الله تعالى أنه إذا جاء أمره، وحل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه؛ فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم، {وَلَا تُحَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ} (هود: 37).

وأمره أن يغرس شجراً ليعمل منه السفينة، فغرسه وانتظره مائة سنة، ثم نجره في مائة أخرى، ولم يكن يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن أصنعها على مثل أمرنا لك، وبمراى منا لصنعتك لها، ومشاهدتنا لذلك، لنرشدك إلى الصواب في صنعتها فقال له تعالى {وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا} هود 37

وكانت من خشب الساج (7)

وأمره أن يجعل طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع (8)، وأن يطلى ظاهرها وباطنها بالقار، وأن يجعل لها جؤجؤاً طائر أزور

^٧ وقيل من شجر الصنوبر

^٨ وقيل في أطوالها ورضها غير ذلك



نوح

عليه السلام

يشق الماء. وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعاً، وكانت ثلاث طبقات كل واحد عشرة أذرع، فالسفلى للدواب والوحوش، والوسطى للناس، والعليا للطيور. وكان بابها في عرضها، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها.

{فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ أُنثَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} (المؤمنون: 27).

فتقدم إليه بأمره العظيم العالي أنه إذا جاء أمره وحلّ بأسه، أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين ذكر وأنثى.

من الحيوانات، وسائر ما فيه من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها، وأن يحمل معه أهله، أي أهل بيته، إلا من سبق عليه القول منهم، أي إلا من كان كافراً فإنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد، فكان منهم ابنه «يام»، ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد. وأمر أنه لا يراجعهم فيهم إذا حلّ بهم ما يعانيه من العذاب العظيم، الذي قد حتمه عليهم الفعال لما يريد



نوح

عليه السلام

وجعل الله موعد نزول نغمته ابتداءً بنوع الماء من تنور الخبز على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدھا (٩) فإذا { فَاَرَأَيْتُمْ } أي نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور، { قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا } أي في السفينة. { مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ } (40) { (هود)

وأن يحمل معه من آمن به من أمته. قال الله تعالى: { وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ } (هود: 40) هذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم، ودعوتهم الأكيدة ليلاً ونهاراً، بضروب المقال، وفنون التلطفات، والتهديد والوعيد تارة، والترغيب والوعيد أخرى. مكث نوح عليه السلام في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وغرس مائة سنة الشجر، فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها ليجعلها سفينة، وأقبل نوح على عمل الفلك وجعل يهيء عتاد الفلك من الخشب والقار وغير ذلك ويمرون عليه ويسخرون منه، ويقولون: يا نوح قد صرت

^٩ أو قيل في الهند أو بعين وردة من أرض الجزيرة وقيل التنور وجه الأرض أو أشرف موضع فيها.

نوح

عليه السلام



نجاراً بعد النبوة ويقولون: تعمل سفينة في البر؟ كيف تجري؟ قال: سوف تعلمون.

يقول تعالى { وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ } أي يستهزئون به استبعاداً لوقوع ما توعدهم به، { قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ } (هود) نحن الذين نسخر منكم ونتعجب منكم في استمراركم على كفركم وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم. { فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثِيمٌ } (هود: 39).

وقد كانت سجايهم الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا، وهكذا في الآخرة فإنهم يجحدون أيضاً أن يكون جاءهم رسول⁽¹⁰⁾

١٠ كما قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله: «يجيء نوح عليه السلام وأمه، فيقول الله عز وجل: هل بلغت؟» فيقول: نعم أي رب. فيقول لأمه هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من شهد لك؟ فيقول محمد وأمه، فتشهد أنه قد بلغ» وهو قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } (البقرة: 143).

نوح

عليه السلام



وعدد من كان مع نوح في السفينة ثمانين نفساً معهم نساؤهم. منهم نوح وبنيه الثلاثة وكنائنه الأربع بامرأة «يام» الذي انخذل وانعزل، وتسلسل عن طريق النجاة فما عدل إذ عدل.

وأما امرأة نوح واسمها واهلة. كانت على غير دينه، وكانت تقول للناس: إنه مجنون وإذا آمن به أحد أخبرت به الجابرة وأسرت النفاق

والوسط العدل. فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدق، بأن الله قد بعث نوحاً بالحق، وأنزل عليه الحق وأمره به، وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها، ولم يدع شيئاً مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به، ولا شيئاً قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه، وحذرهم منه. وهكذا شأن جميع الرسل، حتى إنه حذر قومه المسيح الدجال، وإن كان لا يتوقع خروجه في زمانهم؛ حذراً عليهم وشفقة ورحمة بهم.

كما قال البخاري: حدثنا عبدان، حدثنا عبد الله، عن يونس، عن الزهري، قال سالم قال ابن عمر: قام رسول الله في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأندركموه، وما من نبي إلا وقد أذره قومه، لقد أذره نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور».

وهذا الحديث في «الصحيحين» أيضاً من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة عن النبي قال: «ألا أحدثكم عن الدجال حديثاً ما حدث به نبي قومه؟ أنه أعور، وأنه يجيء بمثال الجنة والنار والتي يقول عليها الجنة هي النار، وإني أنذرکم كما أنذر به نوح قومه». لفظ البخاري.

نوح

عليه السلام



وأظهرت الإيمان، وهي أم أولاده كلهم: وهم حام وسام، وياث وبيام، ويسمى كنعان وهو الذي قد غرق، فقد غرقت مع من غرق، وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها.

وفعل نوح كما أمره الله تعالى حتى إذا فرغ من صناعة الفلك وقد عهد الله إليه حتى إذا { جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا } (المؤمنون: 27).

، وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه وكان من حجارة لحواء ، فلما فار التنور وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة إلى السماء الرابعة ، ولما فار التنور حمل نوح من أمره الله بحمله ،

وأول ما دخل الطيور ، وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار. ودخل إبليس متعلقاً بذنب الحمار.

لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين، قال أصحابه: وكيف نطمئن؟ أو كيف تطمئن المواشي ومعنا الأسد؟ فسلط الله عليه



نوح

عليه السلام

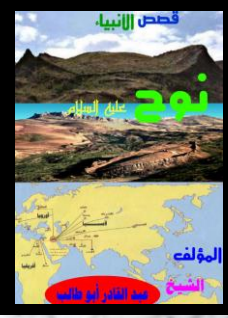
الحمى، فكانت أول حمى نزلت في الأرض. ولما وقع الفأر يخرز السفينة بقرضه،

شكوا الفأرة، فقالوا: الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا. فأوحى الله إلى نوح عليه السلام: أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فتخبأت الفأرة من السنور ، ولما كثر أرواث الدواب أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل، فغمزه فوق منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث قال الله تعالى: {فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28) وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (29) } (المؤمنون).

أمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة، فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه، وأقر عينه ممن خالفه وكذبه وهكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور: أن يكون على الخير والبركة، وأن تكون عاقبتها محمودة،

نوح

عليه السلام



وقد امثل نوح عليه السلام هذه الوصية وقال: { أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (هود: 41) أي على اسم الله ابتداء سيرها وانتهاءه. { إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } أي وذو عقاب أليم، مع كونه غفوراً رحيماً، لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، كما أحل بأهل الأرض الذين كفروا به وعبدوا غيره.

قال تعالى: { فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدٍ قَدِيرٍ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُوسٍ (13) } (القمر). والدوس المسامير { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا } أي بحفظنا وكلاءتنا وحراستنا ومشاهدتنا لها

فالله تعالى أرسل من السماء مطراً لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده. كان كأفواه القرب، وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها. { جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ }

{ مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً (25) }

نوح

عليه السلام



والمؤمنين في السفينة { إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) }
 { (الحاقة) أي السفينة { لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ (12) }
 { (الحاقة). { وهي تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ { (هود)
 ارتفع الماء على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً، وعم
 جميع الأرض طولها وعرضها ، سهلها وحزنها، وجبالها وقفارها
 ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين
 تطرف، ولا صغير ولا كبير. وكان أهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل
 والجبل. فلم تكن بقعة في الأرض إلا ولها مالك وحائز.
 {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يُبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ
 قَالَ سَأْوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ
 اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ (43) }
 { (هود).

وهذا الابن هو «يام» أخو سام وحام ويافت، واسمه كنعان. وكان
 كافراً عمل عملاً غير صالح، فخالف أباه في دينه ومذهبه، فهلك من



نوح

عليه السلام

هلك. هذا وقد نجا مع أبيه الأجنب في النسب، لما كانوا موافقين في الدين والمذهب.

وناشد نوح ربه في ولده، في سؤاله له عن غرقه على وجه الاستعلام والاستكشاف.

فقال ربي إنك وعدتني بنجاة أهلي معي وهو منهم وقد غرق؟ فأجيب بأنه ليس من أهلك، أي الذين وعدتك بنجاتهم، {أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ} (هود: 40) فكان هذا ممن سبق عليه القول منهم بأنه سيغرق بكفره ولهذا ساقته الأقدار إلى أن انحاز عن حوزة أهل الإيمان فغرق مع حزبه أهل الكفر والطغيان.

{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44)} (هود).

أي لما فرغ من أهل الأرض، ولم يبق بها أحد ممن عبد غير الله عز وجل، أمر الله الأرض أن تبتلع ماءها، وأمر السماء أن تقلع أي تمسك عن المطر، {وَوُضِيَ الْمَاءُ} أي نقص عما كان، {وَقُضِيَ



نوح

عليه السلام

الأمرُ { أي وقع بهم الذي كان قد سبق في علمه وقدره؛ من إحلاله بهم ما حل بهم.

{ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } فنودي عليهم بلسان القدرة: بعداً لهم من الرحمة والمغفرة.

ولم يبق الله أحداً من كفره العباد؛ استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم، وتنفيذاً لما سبق في القدر المحتوم

وأراد الله أن يكف ذلك الطوفان، فأرسل ريحاً على وجه الأرض، فسكن الماء وانسدت ينابيع الأرض، فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر، وكان استواء الفلك

ثم قال تعالى: { يٰ نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ } (48) { (هود).

هذا أمر لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض، وأمكن السعي فيها والاستقرار عليها، أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودي، وهو جبل بأرض

نوح

عليه السلام



¹¹ الجزيرة مشهور {بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ} (هود) أي اهبط سالماً مباركاً عليك، وعلى أمم ممن سيولد بعد، أي من أولادك، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلًا ولا عقباً سوى نوح عليه السلام قال تعالى {فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (64)} { (الأعراف). {فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73)} { (يونس).

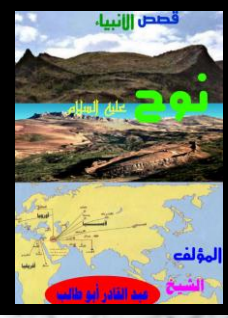
وقال تعالى: {وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77)} { (الأنبياء).

وقال تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَلْغِينَ (120) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122)} { (الشعراء). وقال تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (15)}

¹¹ بأرض الموصل

نوح

عليه السلام



(العنكبوت) وقال: {وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (15) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ (16) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (17) } (القمر).

وقد استجاب الله تعالى وله الحمد والمنة دعوة نوح ، فلم يبق من الكافرين عين تطرف. وأما نوح قال تعالى: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} (الصفات: 77) فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم، ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم: سام، وحام، وياث.

وكان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلهم، وأنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً، وإن الله وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوماً، ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه شهراً ثم ربيت رؤوس الجبال. وفتح نوح غطاء الفلك وأرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء وليأتيه بخبر الأرض، فذهب فوق على الجيف فأبطأ عليه، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين، فعرف نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض ثم برز وجه الأرض، وظهر البر.



نوح

عليه السلام

وكان ركوبهم في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب، وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم. وقد صاموا يومهم ذلك.

ثم بعد ذلك كلم الله تعالى نوحاً قائلاً له: اخرج من الفلك أنت وبنوك ونساء بنيك معك، وجميع الدواب التي معك، ولينموا وليكثروا في الأرض. فخرجوا ، وأخذ من جميع الدواب والطيور وعهد الله إليه أن لا يعيد الطوفان على أهل الأرض.

وهبطوا إلى أسفل الجودي ، واتخذ نوح من أرض الجزيرة موضعاً وابتنى قرية سماها ثمانين ، لأن كل واحد ممن معه بنى لنفسه بيتاً ، وكانوا ثمانين رجلاً فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها العربية. وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض، فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم.

وقد عاش نوح بعد الطوفان زمن ولما مات قبر عليه السلام بالمسجد الحرام



قصة

نوح

عليه السلام

وولد سام: العرب وفارس والروم. وولد يافث: الترك والصقالبة ويأجوج
ومأجوج ولا خير فيهم. وولد حام: القبط والسودان والبربر..
وقد رأى حاماً أباه نائماً وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها أخواه،
فدعا عليه نوح أن تشوه خلقه نطفته، وأن يكون أولاده عبيداً لإخوته.
فولد له ولد أسود وهو كنعان بن حام جد السودان